



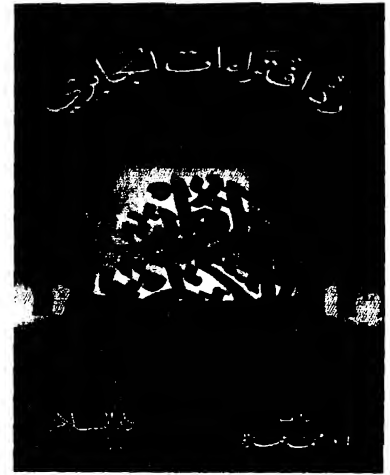
رد اقترارات الجابري على القرآن الكريم

يعتبر المشروع الفكري للمفكر المغربي الراحل الدكتور محمد عابد الجابري (١٩٣٦ - ٢٠١٠م) من أكثر المشروعات الفكرية ذات الطابع القومي العربي إثارة للجدل في الربع الأخير من القرن العشرين ومطلع الألفية الجديدة، ولاقت الكثير من أفكاره العديد من أوجه النقد التي وصلت إلى حد النقض في بعض الأحيان.

ومن بين أهم الجوانب التي تعرضت لانتقادات، وظهرت الكثير من الأقلام التي نقضت أركانها، من مشروع الجابري الفكري، تلك التي تناول فيها الجابري قضايا أو طرح أفكاراً ذات ارتباط بالإسلام على مختلف المستويات: الفكرية والسياسية.

ولقد ركزت القراءات التي قام بها بعض العلماء والمفكرين المسلمين في أدبيات الجابري وأفكاره على الجوانب التي تناول فيها الجابري في كتاباته القرآن الكريم، والتي من بين ما جاء به الجابري فيها دعوته إلى إعادة ترتيب آيات القرآن الكريم وسوره وفق ترتيب النزول، وكذلك نفيه لثابت الحفظ الإلهي للقرآن الكريم.

كما تناولت هذه الرؤى المناظرة رؤية الجابري التفكيكية للتاريخ الإسلامي بشكل عام، وارتباط ذلك بالنظر للتراث الإسلامي، والتي دعا فيها إلى إقامة القطيعة معه، وإحلال



• تأليف: د. محمد عمارة

• الناشر: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ط ١، ٢٠١١م

• عدد الصفحات: ٢٢١ صفحة

• عرض: أحمد التلاوي

القاهرة، تناول فيه بعض الأفكار التي أوردها الجابري في كتاباته عن الإسلام، ولا سيما:

- الشريعة الإسلامية وحاكميتها في حياة الأمة، أفراداً ومجتمعات.

- التراث الإسلامي وارتباط هوية الأمة، أفراداً ومجتمعات أيضاً، به.

- القرآن الكريم على أهميته ومحوريته في هذا الإطار هوية وحياة الأمة الإسلامية.

- الإسلام وموضعه من المشروع القومي العربي ما بين فكر الجابري وفكر ميشيل عفلق - مؤسس حزب البعث العربي الاشتراكي.

يتكون الكتاب من أربع مقالات تحليلية، جاء بعضها أقرب لدراسات علمية، تناول أولها موقف عابد الجابري من التراث، والثاني أفكار الجابري عن القرآن الكريم ما بين جهة ترتيب النزول وترتيب المصحف الشريف، والثالث أخطاء الجابري حول بعض الثوابت الإسلامية، والقضايا المرتبطة بها، مثل الإيمان بين العقل والنقل، والعبادات، وواقعة الإسراء والمعراج. أما الدراسة الرابعة، فقد تناولت ما وصفه عماره بخطايا الجابري حول عصمة الأنبياء وحول رسول الله (صلى الله عليه وسلم) والصحابة الكرام (رضي الله عنهم جميعاً) والحفظ الإلهي للقرآن الكريم.

آيات محكمات

في البداية، وضع الدكتور محمد عماره مدخلاً بعنوان "آيات محكمات"، أورد فيه نصوصاً فقط من القرآن الكريم، يتحدث فيها الله (سبحانه وتعالى) عن القرآن العظيم من أكثر من زاوية، إلا أن الزاوية الأهم التي ركز عليها

الأفكار الحداثية الأوروبية محله، ودعواته إلى التحرر من سلطات العقيدة والشريعة الإسلامية.

ومن بين أهم الأقسام التي تصدت لأفكار الجابري وإرهاصاته قلم المفكر الكبير الدكتور محمد عماره، والذي يعتبر من بين أهم من تصدوا للأفكار الدخيلة على الإسلام، والأفكار التفريبية بشكل عام، التي حاولت إما نقض شريعة الإسلام وتراثه، أو ربطه بشكل يخرج عن أصول الدين الحنيف ببعض النظريات الأخرى، مثل الماركسية والحداثة الغربية الأوروبية.

ومن كتاباته المهمة في هذا الجانب "التفسير الماركسي للإسلام" الذي رد فيه على كلام وأفكار المفكر العلماني المصري الراحل الدكتور نصر حامد أبو زيد عن الإسلام والقرآن الكريم، وكتابه "الأصولية بين الغرب والإسلام" الذي تناول فيه بالنقد والنقض الهادئ بعض أفكار المفكر الفرنسي المسلم "روجيه جارودي" حول السنة النبوية والشريعة الإسلامية والعلمانية.

ومن بين أبرز المجالات التي تخصص فيها عماره أيضاً قضية الغزو الفكري والثقافي، والتي ترتبط بشكل كبير بالجوانب السابقة؛ حيث تناول عماره هذه القضية من زوايا مختلفة، من بينها ارتباطها بمساعي البعض لنقض الإسلام واستبداله بفكر وهوية الأمة الحداثية الغربية، ومن بين كتاباته في هذا المقام كتاب "الإسلام والحرب الدينية"، وكتاب "الغرب والإسلام".

وبين أيدينا كتاب بعنوان "رد افتراءات الجابري على القرآن الكريم"، صدر عن "دار السلام" للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة

اختزل الجابري العلاقة بين الإسلام والقومية العربية في أن الإسلام هو أحد مقوماتها، بينما هو في الأصل محورها ومقومها الأول



للتراث واحتواؤه لتجاوز كل التراث، وفي ذلك يقول عمارة مبدئياً: إن الدعوة إلى "تجاوز كل التراث"، وهو ما لم تفعله أمة أو حضارة لها تراث، فضلاً عن أن تكون هذه هي الأمة الإسلامية، التي تميز تراثها بصيغة إسلامية، صنعتها المعايير التي جاء بها ديننا الحنيف.

ويضيف عمارة أن دعوة الجابري للقطيعة مع التراث سوف "تقيم فراغاً في مساحات الماضي"، وهو ما يؤدي بالحثم - بحسب قول عمارة - إلى أن يملأه الآخرون.

وتلك هي التجربة المأساوية - كما يقول المؤلف - لأمتنا ولغيرها من الأمم، التي ابتليت بالتغريب الذي جاء في ركاب الغزو أو الاستعمار الأوروبي المباشر الذي هيمن على الشأن الفكري والاجتماعي والسياسي للأمة العربية والإسلامية على مدى قرنين من الزمان؛ حيث إن القطيعة مع التراث تؤدي إلى أن تفقد الأمة قلبها وعقلها.

ويؤكد عمارة أن ذلك الاستبعاد للدين أمر لا يمكن قبوله من جانب أي أمة، وينقل عن القس وعالم الاجتماع الألماني البروفيسور "جوتفرايد كوفزلن" قوله في هذا الأمر: "لقد مثّل: تراجع السلطة المسيحية.. وضياح أهميتها الدينية..

عمارة فيما اختاره من آي الذكر الحكيم، هي تلك المتعلقة بالتأكيد على إلهية القرآن الكريم، وحماية الله (عز وجل) له إلى يوم القيامة.

وفي تمهيد للكتاب، تناول الدكتور عمارة بعض معالم خلافاته مع مشروع الجابري الفكري، منذ لقائه الأول به في عام ١٩٨٩م، خلال ندوة الحوار القومي الديني التي عقدها مركز دراسات الوحدة العربية في العاصمة المصرية "القاهرة"، ومن بين أهم هذه المعالم اختلاف عمارة مع مقولة للجابري اختزل فيها العلاقة ما بين الإسلام والقومية العربية في أن الإسلام هو أحد مقومات القومية العربية، بينما الإسلام هو الأصل والمحور والمقوم الأول للقومية العربية.

وينقل عمارة عن المفكر القومي العربي الراحل ميشيل عفلق مقولة أطلقها في أواخر حياته بعد العديد من المراجعات لأفكاره عن الإسلام والقومية العربية، ذكر فيها عفلق أن القومية العربية "ولدت ولادة جديدة في ظل الإسلام"، وإن الإسلام هو "الأب الشرعي" للقومية العربية.

أما الفكرة الثانية التي اختلف فيها عمارة مع الجابري؛ فهي تلك المتعلقة بموقف الجابري من التراث الإسلامي؛ حيث دعا الجابري إلى دراسة التراث وتحقيقه من أجل تجاوزه، واستبدال أفكار الحداثة الغربية به.

وكانت تلك هي الفكرة الرئيسية التي تناولها عمارة في مقاله الأول الذي جاء بعنوان "موقف الجابري من التراث"، وركز فيه على مقولة للجابري في الندوة المشار إليها وهي "العودة

إعادة النظر فيه"، ويضيف وات قائلاً: "... وإذا لم يكن محمد هو الذي رتب القرآن بناءً على وحي نزل عليه، فمن الصعب أن نتصور أن يقوم بهذا العمل زيد بن ثابت أو أي مسلم آخر".

ويشير عمارة في هذا السياق إلى دور اليهود في التشكيك في القرآن الكريم باعتباره أحد أهم أركان العقيدة لدى المسلمين، والتي وصلت إلى درجة محاولة بعض المستشرقين اليهود إصدار نسخة أخرى من القرآن الكريم غير تلك التي وردت في مصحف سيدنا عثمان بن عفان (رضي الله عنه).

ويعيب عمارة على الجابري أنه حاول أن ينحو ذات المنحنى؛ فيقول: "لكن الجابري جاء ليحدد هذه المحاولة الاستشراقية التي هوت رغم الجهود التي بذلها فيها المستشرقون من أمثال فيشر وبريتسل وبيرتون ونسبرو.. جاء الجابري ليكرر هذه المحاولة التي هوت، والتي بذل فيها هؤلاء المستشرقون عقوداً من حياتهم البحثية، محاولين وضع ترتيب آخر للقرآن الكريم غير الذي جاء في المصحف الإمام - مصحف عثمان - وهو الترتيب الذي راجعه جبريل (عليه السلام) مع الرسول (ﷺ) والذي هو ترتيب القرآن في اللوح المحفوظ".

ويرد عمارة في الإطار نفسه على بعض المبررات التي حاول الجابري وبعض ممن أيدوا أفكاره في هذا المجال من أنه من حق الجابري أن يجتهد؛ حيث لم يدع الجابري إلى تعديل ترتيب آيات وسور القرآن الكريم بشكل فعلي كما حاول المستشرقون اليهود؛ ولكنه دعا إلى إعادة فهم القرآن الكريم وتفسيره وفق ترتيب نزوله.

وتحول معتقدات المسيحية إلى مفاهيم دنيوية، والفصل النهائي بين المعتقدات الدينية والحقوق المدنية وسيادة مبدأ: دين بلا سياسة، وسياسة بلا دين.... فقدان المسيحية لأهميتها فقداناً كاملاً.. وزوال أهمية الدين كسلطة عامة؛ لإضفاء الشرعية على القانون والنظام والسياسة والتربية والتعليم".

الترتيب الجابري للقرآن

المقالة الثانية في الكتاب جاءت بعنوان "الترتيب الجابري للقرآن الكريم" .. حيث ناقش عمارة بعض أفكار الجابري حول القرآن الكريم من جهة ترتيبه ما بين ترتيب المصحف الشريف وترتيب النزول، وفي البداية تساءل الدكتور محمد عمارة عن أسباب الدعوة إلى العدول عن الترتيب الإلهي للقرآن، أي ترتيب اللوح المحفوظ، الذي نزل به جبريل (عليه السلام) على رسول الله (ﷺ) أثناء المراجعات التي تمت بين جبريل (عليه السلام) والرسول (ﷺ) (عليه الصلاة والسلام) في السنوات الأخيرة من حياة المصطفى (ﷺ)، وهي المراجعات التي وردت في الأحاديث الصحيحة التي جاءت في "صحيح البخاري" و"صحيح مسلم".

وكما هي عادة عمارة؛ فإنه يستعين بأراء العديد من المستشرقين والعلماء والمفكرين غير المسلمين من الغربيين لتأكيد أفكاره؛ فينقل في هذا الشأن عن المستشرق الإنجليزي "مونتجمري وات"، وهو قس إنجليكاني: "إن هذا الترتيب القائم الآن في المصحف العثماني هو الترتيب الإلهي الذي انتهى إليه الوحي مع رسول الإسلام، وليس ترتيباً بشرياً من الصحابة، حتى تصح

دعا الجابري إلى دراسة التراث من أجل تجاوزه واستبدال أفكار الحداثة الغربية به، وهو ما لم تفعله أمة من الأمم، فما بالك بالأمة الإسلامية



أفكار الجابري عن بعض ثوابت الإسلام، ومن بينها الأخطاء التي وقع فيها الجابري في توصيفه لفكرة الإيمان الإسلامي، وادعاؤه بوجود تناقض بين العبادات الإسلامية والعقل، وكذلك ادعاء رفض الحنابلة للتحسين والاجتهاد والقول بتقبيحهم للعقل، وخطأ الجابري في ادعاء التناقض بين التجربة الروحية في الإسلام وبين الحس والعقل.

كذلك تناول عمارة خطأ الجابري في مساواته القرآن الكريم بالتوراة والإنجيل بعد تحريفهما، وخصوصاً فيما يتعلق بادعائه بمحاكاة القرآن الكريم للتوراة فيما يخص قصص الأنبياء، وقراءاته بشكل عام للقصص القرآني، ومن بين هذا ادعاؤه أن المحاورات التي ذكر القرآن الكريم أنها وقعت بين أنبياء الله تعالى ورسله وبين أقوامهم، لم تقع، كذلك بعض التحريفات التي أدخلها في رؤيته عن واقعة الإسراء والمعراج، وأخطائه أيضاً فيما يخص فهم معنى مصطلح "الإسلام" وتاريخ استخدامه.

وفي بداية كلامه في هذا المقال، يقول عمارة: إن الخطأ الأساسي الذي وقع فيه الجابري، وأدى إلى وقوعه في هذه الأخطاء

فيقول المؤلف في هذا: إنه مع الوجاهة الشكلية لهذه المبررات "فإن الجابري نفسه - الذي ابتدع هذه البدعة، فأعاد ترتيب القرآن وتفسيره وفق أسباب النزول - قد اعترف - هو - أن هذا "الأساس" - الترتيب وفق النزول - الذي بنى عليه مشروعه، والذي دفعه إلى "بدعته"، هو أوهى من بيت العنكبوت... فبعد أن خدع الجابري نفسه - وحاول خداع قرائه - بقوله: "لقد كان طبيعياً لكل من يريد فهم القرآن أو استنباط أحكام منه تغطي المستجدات، أن يشعر بالحاجة إلى معرفة ما اصطلح عليه "بأسباب النزول"؛ وهو ما يقتضي ترتيب السور حسب نزولها".

ويختتم عمارة مقالته المهمة هذه بالقول: "بعد أن جازف الجابري هذه المجازفات عاد فأفاض في الحديث عن أن هذا "الأساس" الذي بنى عليه مشروعه "البدعة" هو - كما قلنا - أوهى من بيت العنكبوت"، ومن خلال مناقشة بعض الأدلة التي اعتمد عليها الجابري في تبرير طرحه الفكري هذا، ومن بينها بعض أحاديث الآحاد أو الأحاديث الضعيفة يقول عمارة: "لقد نقض الرجل غزله.. وحكم هو على أن الأساس الذي بنى عليه "بدعته": روايات آحاد، لا تعدو الظنون والتخمينات من أسباب نزول ما ندر من آيات القرآن الكريم".

أخطاء... لا خطايا

المقال الثالث، والذي جاء بعنوان "أخطاء... لا خطايا"، عرض فيه الدكتور محمد عمارة المزيد من الملاحظات على أفكار الجابري، إلا أنه تجاوز ما طرحه الجابري حول القرآن الكريم، إلى بعض

الدينية الأخرى؛ حيث تحولت العبادات في العقيدة المسيحية بعد تحريف النصرانية إلى "أسرار كنسية" لا معقولة؛ بل مناهضة للعقل والتعقل.

وفيما يتعلق بمقارنة الجابري بين قصص القرآن عن أنبياء بني إسرائيل وما جاء عن هؤلاء الأنبياء في التوراة؛ يقول الدكتور عمارة: إن الجابري أخطأ عندما حكم بأن القرآن الكريم قد وقف عند "حكاية" ما جاء عن هؤلاء الأنبياء في التوراة، وأن كتاب الله المكين لم يتميز في هذا المقام إلا في "طريقة العرض".

ويقول الدكتور عمارة: إن مظاهر الأصالة والإبداع في القرآن الكريم في مجال القصص، وخصوصاً في طريقة العرض تنفي ما قاله الجابري في هذا المقام، ويقارن عمارة في هذا الإطار بين ما جاء في القرآن الكريم عن أنبياء الله تعالى، والصورة التي نقلتها التوراة؛ حيث اختلفت الصورة الإيجابية التي نقلها القرآن الكريم في هذا الجانب عن تلك التي نقلتها التوراة عن أنبياء الله ورسله، والتي غالباً ما تقوم على التشويه والإساءة، مثل تصويرهم على أنهم خطاة أو عصاة لله (سبحانه وتعالى).

فأبو الأنبياء وخليل الرحمن إبراهيم (صلى الله عليه وسلم) في التوراة يظهر في صورة الذي يخطئ في تقدير أخلاق المصريين عند دخوله إلى بلادهم، والذي يتواطأ مع زوجته سارة على الكذب، وإسلام زوجته الجميلة لمن يعاشرها في الحرام حرصاً على بقائه على قيد الحياة، وذلك كما ورد في سفر "التكوين" في التوراة، أما

جميعاً، هو تطبيقه لمنهاج الوضعية المنطقية الأوروبية في النظر إلى الدين وخصوصاً إلى الوحي الإلهي وقضية الإيمان، وانطلاقاً من هذا المنهج الوضعي، زعم الجابري في كتابه "في التعريف بالقرآن"، أن الوحي ينتمي إلى منطقة التسليم والإيمان، وليس إلى ميدان البحث والقرآن الكريم.

ورداً على مزاعم الجابري حول انفصال الجوانب الإيمانية والوحي عن جزئية العقل؛ يقول عمارة: إذا كان جوهر الدين الإسلامي، ونقطة البدء فيه الإيمان بالله تعالى؛ فإن طريق هذا الإيمان هو العقل، والنظر العقلي، وليس التسليم فقط، ذلك أن العقل يتأمل المخلوقات، فيدرك أن هناك خالقاً لهذه المخلوقات، وذلك بالبرهان العقلي.

ولقد اجتمعت جميع التيارات الإسلامية على تأسيس الإيمان الإسلامي على صريح المعقول، الشاهد على صدق صحيح المنقول، وكذلك من خارج إطار الإسلام؛ حيث بهرت عقلانية الإيمان في الإسلام العديد من العلماء والمستشرقين الغربيين الذين درسوا الإسلام والنصرانية؛ فشهدوا لعقلانية الإسلام، وشهدوا أن هذه العقلانية الإسلامية كانت السر في سرعة انتشار الدين الحنيف.

ومن هذا المبدأ، ينطلق عمارة لتفنيد مختلف ما قاله الجابري حول انفصال العبادات في الإسلام عن منطق العقل؛ حيث يشير عمارة إلى الخلط الذي قام به الجابري بين العبادات في الإسلام والعبادات كما آلت إليها في الشرائع

زعم الجابري وجود تناقض بين العبادات الإسلامية والعقل، وهو ما تفنّده القراءة المخلصة للقرآن الكريم وإعلانه لقيمة العقل



عام، وعلى رأسها نفي الجابري لصفة العصمة عن أنبياء الله تعالى ورسله، وفي تصويره للرسول (صلى الله عليه وسلم) والمهاجرين من صحابته الكرام على أنهم قطاع طرق باحثون عن الغنائم، وتصويره للهجرة النبوية الشريفة وأدبياتها على أنها مشروع للحرب والقتال.

كما فنّد عمارة خطيئة الجابري في نفيه للحفظ الإلهي للقرآن الكريم، وادعائه أن المصحف الإمام، مصحف سيدنا عثمان بن عفان، والذي اجتمعت عليه الأمة، لم يضم كل القرآن الكريم، وأن تدوينه قد حدثت به أخطاء من نسيان وسهو وتبديل وغير ذلك، وافترائه على علماء الإسلام بادعائه على إجماعهم على الاعتراف بهذا الخطأ.

وعن إنكار الجابري لعصمة الأنبياء، يقول عمارة: إن عابد الجابري أنكر عقيدة العصمة، معتبراً إياها "فكرة مسبقة" من أفكار "المذاهب الإسلامية" اكتسبت عند أصحاب هذه المذاهب طابعاً سياسياً، والأخطر - بحسب عمارة - أن إنكار الجابري لعصمة الرسول الكريم محمد (ﷺ)، جاء المقصد منه نفي عصمة القرآن الكريم عن التفسير والتبديل؛ حيث يقول: إن

في القرآن الكريم فيظهر خليل الرحمن على أنه الإمام الصالح المصطفى المصلح في الدنيا والآخرة.

كما يفنّد عمارة ما قاله الجابري بأن مصطلح "الإسلام" و"المسلمين" لم يطلق على المؤمنين برسول الله محمد (صلى الله عليه وسلم) إلا في وقت متأخر نسبياً من تاريخ البعثة والدعوة، وبعد أن أصبح هؤلاء المؤمنون "جماعة تستسلم وتخضع لسلطة النبوة؛ لأن هذا المصطلح - "الإسلام" - يدل على الخضوع لسلطة جماعة أو دولة".

ويدلل عمارة على بطلان مزاعم الجابري في هذا المقام، بذكر الأدلة التي تؤكد أن مصطلح "الإسلام" لم يتأخر إطلاقه واستخدامه في دعوة الرسول الكريم (ﷺ)؛ وإنما هو مصطلح قديم قدم دين الله الواحد، فالدين عند الله الإسلام، وأنبياء الله تعالى كلهم جاؤوا برسالة الإسلام - كما جاء في نص القرآن الكريم.

كما ينفي عمارة ما ذكره الجابري من أن المحاورات التي وردت في القرآن الكريم بين أنبياء الله ومرسله، وأقوامهم، لم تحدث، ويقول: إنه إذا لم تكن هذه المحاورات لم تتم؛ فكيف إذا قام هؤلاء الأنبياء والمرسلون بتوجيه الدعوة إلى أقوامهم.

خطايا.. لا مجرد أخطاء

وتحت هذا العنوان "خطايا.. لا مجرد أخطاء"، تناول الدكتور محمد عمارة مجموعة من الأخطاء العميقة التي وقع فيها الجابري في تناوله للقرآن الكريم وللعقيدة الإسلامية بشكل

والسخط، والصحة والمرض، ويؤكد الدكتور محمد عمارة أن الرسل معصومون من كتمان الرسالة والتقصير في التبليغ، وهو ما يقتضي العصمة لهم.

كما يفند عمارة ما نسبته الجابري إلى علماء الأمة من أنهم صمتوا على ما دخل على كتاب الله الكريم من تحريف وسهو أو نسيان وغير ذلك مما زعمه الجابري في هذا المقام، مقدماً قراءات في أدبيات العديد من علماء الإسلام القدامى، من أمثال شيخ الإسلام ابن تيمية، والمحدثين من أمثال محمد رشيد رضا.

وفي نهاية كتابه، يوجز الدكتور محمد عمارة آراء الجابري في أنه على مستوى المنهج، أعلن عن تبنيه للمنهجيات والفلسفات والمفاهيم الوضعية المادية، التي نادى بها فلاسفة الغرب مثل إيمانويل كانت وكارل ماركس وميشيل فوكو، أما في الموقف من تراث الإسلام؛ فقد أعلن الجابري عن ضرورة الأخذ بالحدثة الأوروبية في مختلف الميادين، والعودة إلى التراث واحتوائه لتجاوز كل التراث، وأن الإبداع لا يتم إلا على أنقاض القديم كله، مع تحويل العقيدة في رأي، مع نفيه لعصمة الأنبياء والمرسلين.

ويختم بالقول: "إننا - بهذا التصحيح الذي قدمناه - تهدف إلى إنقاذ عقول قراء كتاب الجابري "في التعريف بالقرآن" من هذا الزيف، وهذه الأكاذيب التي أشاعها ويشيعها كتابه هذا عن القرآن الكريم، آملي أن يخفف ذلك من تبعات هذا الرجل الذي أصبح الآن في رحاب مولاه". ■

الرسول الكريم (ﷺ) قد اعتراه ما يعتري البشر من نسيان وأحوال نفسية وتمنيات، وغير ذلك من المزاعم التي ساقها الجابري في كتاباته، وخصوصاً كتاب "في التعريف بالقرآن".

ويرد عمارة على ذلك بالقول: إنه من المنطقي أن يكون اختيار الله تعالى لأنبيائه، وخصوصاً النبي الخاتم، محمد (عليه الصلاة والسلام)، قائماً على أساس اصطفاء الأقدار والأكثر ائتمناً على توصيل رسالته إلى خلقه، ويقول عمارة: كيف يتصور العقل أن يصطفي الحكيم العليم الخبير، لتبليغ رسالته الخاتمة الشاملة الخالدة من يجوز عليه أو يتصور منه السهو أو النسيان أو التبديل لشيء من مكونات هذه الرسالة الإلهية؟.. أو يتطرق إليه الضعف أو الفشل في أداء هذه الرسالة؟.. أو أن يكون ممن تجوز عليه الصفات المنفرة منه - كرسول - فتضعف من قدراته على أداء الرسالة؟

ويقول الدكتور عمارة: إن الأمة مجتمعة على عصمة النبي (ﷺ) من الشيطان، وكفايته منه؛ لا في جسمه بأنواع الأذى، ولا على خاطره بالسواوس، وأما أقواله (عليه الصلاة والسلام) فقد قامت الدلائل الواضحة بصحة المعجزة على صدقه، وأجمعت الأمة أيضاً فيما كان طريقه البلاغ أنه معصوم فيه.

كما وقع من إجماع المسلمين أنه لا يجوز عليه (ﷺ) خُلْفٌ في القول في إبلاغ الشريعة والإعلام بما أخبر به (عليه الصلاة والسلام) عن ربه (ﷻ)، وما أوحاه إليه من وحيه، لا على وجه العمدة ولا على غير عمد، ولا في حالتي الرضا